

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-: "قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَةً مِّنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ"

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لِّبَيْدٍ.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فما أورده المصنف -رحمه الله- في باب الزهد: ما جاء عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار))^(١) متفق عليه.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين)) يعني: أنهم سبقوا إلى ذلك ((وأصحاب الجدِّ)) يعني: أصحاب الحظ والغنى، محبوسون يعني في الحساب يحاسبون على أموالهم التي اكتسبوها من أين اكتسبوها وفيهم أنفقوها، ماذا عملوا بها، ((غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار)).

يعني: أن هؤلاء الذين بقوا وحبسوا عن الجنة هم من المسلمين، وأما أهل النار فقيرهم وغنيهم قد أمر بهم إلى النار، لكن بقي الأغنياء من المسلمين بعد الفقراء في حساب ومساءلة عن هذه الأموال التي اكتسبوها. وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو الحديث الأخير في هذا الباب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل))^(٢) متفق عليه. ((أصدق كلمة قالها شاعر)) الكلمة تقال للكلام كما هو معروف، فقد يلقي الإنسان خطبة، ويقال: ألقى كلمة كما قال ابن مالك -رحمه الله-: وكلمة بها كلامٌ قد يؤم.

يقال: كلمة وكلمة وكلمة، فهنا أصدق كلمة يعني: أصدق ما قاله الشعراء هو ما قاله لبيد بن ربيعة، وهذا مقيد في قول الشعراء؛ لأن كلام الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أصدق من كلام الشعراء، ولكن في قول الشعراء وشعر الشعراء كلمة لبيد، ولبيد هو لبيد بن ربيعة العامري، ويرجع نسبه إلى هوازن، وهو من المعمرين قيل: عاش مائة واثنين وأربعين سنة، وبعضهم يقول: مائة وسبعاً وخمسين سنة، توفي في أول خلافة معاوية -رضي الله تعالى عنه-، قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسلم وحسن إسلامه، وترك الشعر وهو من فحول شعراء العرب، تركه بعد الإسلام.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً))^(٣) ويقال: إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال للبيد مرة: أسمعنا من شعرك فقال: قد تركت الشعر بعدما أخذت

^١ - أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، (٣٠/٧)، برقم: (٥١٩٦)، ومسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، (٢٠٩٦/٤)، برقم: (٢٧٣٦).

^٢ - أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، (٤٢/٥)، برقم: (٣٨٤١)، ومسلم، كتاب الشعر، (١٧٦٨/٤)، برقم: (٢٢٥٦).

سورة البقرة وآل عمران، فاستعاض عن هذا بهذا، وامتنع من أن يقول الشعر، وقال بعضهم: إنه قال بيتاً واحداً بعد إسلامه فقط، وهو الذي قال فيه: والمرءُ يُصلحه القرينُ الصالحُ.

وهذا فيه عبرة أيها الأحبة، وهو أن الإنسان مهما كانت مواهبة وميوله ينبغي أن يوجه ذلك إلى الأنفع والأحسن، وما يقربه إلى الله -تبارك وتعالى- فالحياة قصيرة، والأعمال بينها تفاضل كبير، فهذا لبيد بن ربيعة -رضي الله عنه- فحل من فحول الشعراء فترك الشعر معنى ذلك أنه ترك تلك الموهبة التي عرف بها، وتميز بها إذا ذُكر كما قال الشافعي -رحمه الله-:

ولولا الشعرُ بالعلماء يزري *** لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيد^(٤)

يضرب به المثل في فصاحته وشعره وجودته ومع ذلك تركه، فكيف بمن كانت موهبته أصلاً ليست في الشعر ويتعنى ويتكلف ذلك تكلفاً لاسيما اليوم مع شاعر المليون وتهافت الناس على مثل هذه التفاهات والأمور التي لا طائل تحتها، وإنما تورثهم ضرراً محققاً من نزعات عصبية وتحبي فيهم أموراً من أمور الجاهلية وتوجد بينهم العداوة والبغضاء وتشغلهم عن ذكر الله -عز وجل- وعن الصلاة، وهذه لا شك أنها أمور مذمومة، فالعاقل يُقبل على ما ينفعه.

هذا لبيد بن ربيعة، من يأتي بمثل لبيد؟ وحينما أسلم ترك ذلك، وليس معنى ذلك أن الشعر حرام، حسان بن ثابت كان شاعر النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ((اهجهم وروح القدس معك))^(٥) لكن تشاغل من يشتغل بهذا الشعر مما لا ينصر به الدين أصلاً، ولا ينتفع به فمثل هذا أمر غير محمود.

الشاهد: ((أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل)) كل شيء كما قال الله -عز وجل- وهذا موافق للقرآن **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** [القصص: ٨٨]، وقد فسره بعض أهل العلم بمعنى: إلا ما أريد به وجهه -تبارك وتعالى-، ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

يعني: أنه ذاهب مضمحل، فالباطل هو الشيء الذاهب، ولهذا قيل: البطل، لماذا قيل له البطل؟ قيل: لأنه أبطل دمه لشدة شجاعته، فكأنه أبطل دمه لاقتحامه في صف العدو، فهو لا يهاب ولا يخاف، فقيل له: بطل، لذلك، هكذا قال بعضهم.

فالشاهد هنا: كل شيء ما خلا الله باطل، إذاً إذا عرفنا أن كل شيء ما خلا الله، يعني: ما عدا الله: أسماءه، صفاته، ما يقرب إليه، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي ذكرناه من قبل: ((الدنيا

^٣ - أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصد عنه ذكر الله والعلم والقرآن، (٣٦/٨)، برقم: (٦١٥٤).

^٤ - انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١/٣٢٠).

^٥ - أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٤/١١٢)، برقم: (٣٢١٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب فضائل حسان بن ثابت -رضي الله عنه-، (٤/١٩٣٢)، برقم: (٢٤٨٥).

ملعون، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه))^(٦)، وذكرَ العالم والمتعلم، وما عدا ذلك مما يشتغل به المنشغلون ويضيعون به الأعمار إذا وضعوا في قبورهم عرفوا أنهم كانوا في أحلام عريضة، وأنهم كانوا يشتغلون في أمور كان الحري بهم والأولى أن يشتغلوا بغيرها، ولكن على كل حال الموفق من وفقه الله - عز وجل.

فأسأل الله -تبارك وتعالى- أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

^٦ - أخرجہ الترمذی، أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، (٥٦١/٤)، برقم: (٢٣٢٢)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، (١٣٧٧/٢)، برقم: (٤١١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٣/٦)، برقم: (٢٧٩٧).